من دخان المجتمع !

« فى ذكرى قاسم أمين »

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

جَفَّ الخَمِيلُ ... فَلَا ظِلٌّ وَلَا ثَمَرٌ
وَلا نَشِيدٌ إِلَيْهِ يَطْمَئِنُّ الوَتَرُ

إِلاَّ بَقَايَا أَغَانٍ هَاهُنَا وَهُنَا
مُتَمَرِّغَاتٌ عَلَيْهَا الصَّمْتُ يُحْتَضَرُ

وَقُبَّلَةٌ مِنْ شِفَاهِ الطَّيْرِ ثَاكِلَةٌ
عَلَى الغُصُونِ، تَهَاوَتْ حَوْلَهَا الذِّكَرُ

وَشَاعِرٌ فِى يَدَيْهِ أَدْمُعٌ وَدَمٌ
وَجَذْوَةٌ مِنْ أَسًى تَغْلِى وَتَسْتَعِرُ

وَيَشْتَكِى فَيَقُولُ النَّاسُ هَزَّ صَدَى
وقال شِعْرًا . ضَلَلْتُمْ ! إِنَّهُ ضَعِرُ

طَوَى الرَّبِيعَ عَلَى أَقْدَاحِهِ بِرَقًا
مِنْ قَلْبِهِ ، فِى هَبِيرِ الشِّعْرِ تَنْفَطِرُ

وَنَشْوَةً فِى مَجَارِى النَّفْسِ حَائِرَةً
مَا فِى فَمِى تَبَأَةٌ عَنْهَا وَلَا خَبَرُ

دُفِنْتُ فِيهَا ، وَدَارَانِى بِحَيْرَتِهَا
إِعْصَارُ يَأْسٍ كَلَيْلِ الجِنِّ مُنْكَدِرُ

مَا يَبْتَغِى عَائِشُ التَّغْرِيدِ مِنْ نَغَمِى
وَالكَوْنُ حَوْلِى زَنَدٌ خَانَهُ الشَّرَرُ

وَالأَرْضُ بَرٌّ كَأَنَّ آجَالَ يَكْدُرُهَا
لَوْلَا العِنَايَةُ فِى الآفَاقِ يَنْتَحِرُ

وَالنَّاسُ مِثْلُ الصُّوَارِى لَا خَيَالَ لَهُمْ
إِلاَّ النَّخَالِبُ وَالأَنْيَابُ وَالظُّفُرُ

وما يَرِيمُ جَانِعٌ عَزْمَهُ لُقْمَتُهُ
وَلا شَرِيدٌ تَجَافَى جَنْبُهُ الدَّدَرُ

فَالمُ جَيَّشُوا الأَرْزَاءَ وَاحْتَشَدُوا
لِلْمَوْتِ فَانِينَ لا هَابُوا وَلا حَذِرُوا

وَجَنَّدُوا الفَارَ . . . وَارْتَجُّوا لَهُ فَزَعًا
وَتَحْتَهُم فَغَرَتْ أَشْدَاقَهَا الحُفَرُ

فِى كُلِّ يَوْمٍ سَرِيرٌ ذَابَ صَوْلَجُهُ
وَدَوْلَةٌ فِى رِيَاءِ السِّلْمِ تَنْدَثِرُ

فَإِنْ تَبَرَّجَ فَتَّاكٌ ... وَطَلَّ دَمٌ
فَالنَّسْرُ جَوْعَانُ فِى الآجَامِ يَنْتَظِرُ

وَلْيَذْهَبِ العَصْرُ مَطْعُونًا بِمِنْجَرِهِ
تُبْلِى حَضَارَتَهُ الأَطْمَاعُ وَالأَشَرُ !

قُتِّلْتُمُ ... وَعِشَاشُ الطَّيْرِ عَارِيَةٌ
وَالأَفْرُخُ البِيضُ وَالأَطْفَالُ وَالزَّهَرُ

حَتَّى الرَّبِيعُ . وَمَاذَنْبُ الصَّبَاحِ بِهِ
وَالنَّهْرُ يَحْلُمُ وَالأَنْسَامُ وَالشَّجَرُ ؟

مَازَالَ أَبْدَعَ الطَّاهُونَ فِتْنَتَهَا
مَا هَزَّنِى هَاجِسٌ مِنْهَا وَلَا أَثَرُ ...

كان الجيش يموت قادته وجنده. لكل امرئ حينه وحينه. وكانت بقية السيوف من رجال الأمبراطور يحفون من حول خيمته فى إجلال وحب ، ويرون ظله على الأستار يذهب ويجىء ، فيهمون القدر بالغيب فى ذاته ، ولا يخامرهم الشك فى يمن طالعه . ولكنه هو أدرك فداحة الخطب ؛ واتجه رجل المجد إلى الله وهو من الهول الهائل فى دهشة ورعشة وحيرة . وعلم نابوليون أن ما أصابه إنما هو تكفير عن شىء . فقال ووجهه الساهم ينم عن القلق ، وكتائبه على الثلج منثورة أمامه :

— أهذا هو العقاب يا رب الجيوش ؟ . فسمع من وراء الغيب منادياً ينادى باسمه ويقول له : « كلا »

(ابن عبد الملك)

أنا ابنُ مَنْ أَحْبَتِ الدُّنْيَا حَضَارَتَهُمْ
وَنَزَّرُوا وَظَلاَمُ الأَرْضِ مُنْكَسِرُ

وَأَنْطَقُوا مُعْجِزَاتِ الفَنِّ قَاهِرَةً
وَالدَّهْرُ لِلْجَلَبَةِ الإِعْيَاءُ وَالْحَصَرُ

قُمْ غَنِّنِي مِنْ دَمِ الأَبْطَالِ أُغْنِيَةً
يَحْلُو لِشَادِي الثَّلاَ فِي ظِلِّهَا السَّمَرُ

وَهَاتِ عَنْ سِيرَةِ الأَحْرَارِ فِي وَطَنِ
مَا أَيْقَظَتْ قَلْبَهُ الأَحْدَاثُ وَالغِيَرُ

وَاهْتِفْ «بِقَاسِمَ»: قُمْ فَانْظُرْ صَحَائِفَهُ
تَضِيقُ عَنْ وَصْفِهَا الأَخْبَارُ وَالسِّيَرُ

شَهِدْتَ فِي الدُّورِ قَيْدَ الذُّلِّ مُحْتَدِمًا
قَلْبُ الْخُدُورِ عَلَى بَلْوَاهُ يَنْفَطِرُ

أَزَاهِرُ النِّيلِ أَفْنَى السَّجْنُ بَهْجَتَهَا
وَسَنَّ أَكْمَامَهَا مِنْ هَوْلِهِ خَدَرُ

فَرُحْتَ تَزْأَرُ حَوْلَ القَيْدِ عَاصِفَةً
مَا شَلَّ فَوْرَتَهَا جُبْنٌ وَلاَ حَذَرُ

وَحَوْلَكَ الرَّأْيُ تَحْكِي نَارُ غَضْبَتِهِ
أَسِنَّةً فِي قَتَامِ الْحَرْبِ تَشْتَجِرُ

فَقَائِلٌ : مُصْلِحٌ أَوْفَى بِعِشْرَتِهِ
عَلَى الضِّفَافِ كَمَا يُسْتَشْرَفُ القَمَرُ

أَلْقَى التَّبَادِئُ مَا فِي رُوحِهَا ضَرَرٌ
سَرُّ الْحِجَابِ ، وَلاَ فِي شَرْعِهَا خَطَرُ!

وَقَائِلٌ : شِرْعَةٌ قَبْلَ الأَوَانِ أَتَتْ
وَالْعُنْصُرُ فِي وَعْدَةِ الأَخْلاَقِ مُنْحَدِرُ!

وَقَائِلٌ : زَنْبَقُ الْوَادِي بِرَوْنَقِهِ
تَحْتَ الْخَمَائِلِ عُذْرِيُّ الشَّذَى نَضِرُ!

فَإِنْ تَنَقَّلَ مَاتَ الْعِطْرُ... وَانْتَثَرَتْ
كِيَانُهُ ، وَطَوَاهُ التُّرْبُ وَالْوَعَرُ!

وَبَيْنَ هَذَا وَهَذَا... أَقْبَلَتْ زُمَرٌ
ضَلَّتْ سَبِيلَكَ. تَتْلُو رَكْبَهَا زُمَرُ

مَرَى عَلَى كَفِّهِمْ نَجْمُ الْعَذَابِ... فَمَا
هَزُّوا لِمَشْرَعِهِ جَفْنًا وَلاَ شَعَرُوا

بِاسْمِ الدُّهُورِ أَقَامُوا كُلَّ مَحْزَرَةٍ
يَكَادُ يَبْطِشُ مِنْ أَهْوَالِهَا القَدَرُ

عَانُوا فَضَجَّ الْحِمَى مِنْ رِجْسِ خُطْوَتِهِمْ
وَفَزَّعَتْ مِنْهُمُ الأَخْلاَقُ وَالأُسَرُ

تَمْشُ الفَضِيلَةِ يَمْشِي فِي مَوَاكِبِهِمْ
فَمَا يُحِسُّ بِهِ سَمْعٌ وَلاَ بَصَرُ

قَالُوا: شَأَى الغَرْبُ! قُلْتُ: الشَّرْقُ سَابِقُهُ
وَإِنْ تَبَدَّلَتِ الأَشْكَالُ وَالصُّوَرُ

وَمَا بِعَادَاتِهِ نُعْلِي دَعَائِمَنَا
لَكِنَّ مَا تُلْهِمُ الأَحْدَاثُ وَالعِبَرُ

وَكَيْفَ يَعْلُو جَبِينُ الدَّهْرِ فِي بَلَدٍ
يَكُفُّ شُبَّانَهُ الأَخْلاَقُ تَنْتَحِرُ ؟!

قُمْ لَهُ «قَاسِمٌ» وَاهْتِفْ بِسَاحَتِهِ
يَا عَلَّنَا بَعْدَ هَذَا الْغَيِّ يَزْدَجِرُ!

أَوْلاَ فَمُ هَانِئٌ فِي الْخُلْدِ ، لاَ صَخَبٌ
يُضْنِي الْحَيَاةَ وَلاَ هَمٌّ وَلاَ ضَجَرُ...

تَجَدَّدَتْ ذِكْرَاكَ عَلَّ الْيَوْمَ خَافِقَةً
مِنْ أَرْغَنِ يَصْدَاهَا النَّفْسُ تَعْتَبِرُ

أَنَا الَّذِي يُسْمِعُ الأَبْطَالَ ذِكْرَهُمُ
وَإِنْ تَرَدَّى بِهِمْ تَحْتَ الثَّرَى حَجَرُ!

عَزِيفُ جِنِّيَ فَوْقَ الشَّمْسِ دَارَتُهُ
وَتَحْتَ الْمَوْجِ وَالتَّهْوِيمِ وَالْهَدَرُ...

« وزارة المعارف » محمد حسن اسماعيل

هذا هو المشروب
المفضل في
فصل الصيف

الشاى المثلج

مشروب منعش مرطب

اشربوا
الشاى المثلج